
خرائط وسيناريوهات جديدة

في الشرق الأوسط والعالم

في تسعينيات القرن الماضي، انتشرت على نطاق واسع ما يسمى بخريطة حدود الدم، والتي نسبت لمراكز صنع القرار الأمريكي، وضباط مخابرات، بل ومفكرين أمثال برنارد لويس، وأن هذه الحدود ستقوم على أساس طائفي وديني وعرقي، أي إغراق المنطقة في الدم، لأن الدويلات الناشئة ستقتاتل مع بعضها، وفي الحقيقة فإن تمهيدات فكرية وسياسية قد سبقت ذلك منها نظرية صمويل هانتجتون عن صراع الحضارات، وأن الصراع بين الشيوعية والرأسمالية سيصبح صراعا بين الحضارات الأوروبية والكونفوشية والإسلامية.. إلخ، وكذلك ظهور نظرية الفوضي الخلاقة للوزيرة الأمريكية كونداليزا رايس.

وكان من الطبيعي وبناء على ذلك التمهيد أن نتوقع فوضي وثورات وحروب ودماء غزيرة الهدف منها كان واضحا بالتدريج، فقد تم غزو أفغانستان ٢٠٠١ والعراق ٢٠٠٣ ثم الصراع في ليبيا وسوريا منذ ٢٠١١

وحتى اليوم، ومحاولة جر مصر إلى الحرب الأهلية ولكنه فشل في ذلك، واستخدام تونس كحقل تجارب أولية يتم تعميمها بعد ذلك، ثم الصراع في اليمن، وظهور داعش.

كانت الخرائط المنشورة منذ تسعينيات القرن الماضي، تتحدث عن تقسيم العراق إلى ثلاث دول (سنية وشيعية وكردية)، ثم إقامة دولة للأكراد على حساب العراق وتركيا وإيران وسوريا، أي تفكيك سوريا وتركيا وإيران، وكذلك تفكيك السعودية بحيث ينضم شيعة المنطقة الشرقية إلى إيران وتكوين دولة شيعية كبرى في إيران والسعودية والعراق والبحرين وسوريا ولبنان، وكذلك زيادة رقعة الأردن بضم مناطق من السعودية إليها، وعمل إدارة إسلامية عالمية لمكة والمدينة على غرار الفاتيكان.

أي المحصلة تقسيم كل هذه المنطقة، وفي أفريقيا يتم تفكيك مصر إلى عدة دول، دولة إسلامية وأخرى مسيحية وأخرى نوبية، وتقسيم ليبيا إلى ثلاث دول أيضا في الشرق والغرب والجنوب وتقسيم دول المغرب إلى دول عربية وأخرى أمازيجية وثالثة أفريقية وهكذا.

ولكن الواضح أن تلك الخرائط تطورت، وأصبح هناك سيناريوهات جديدة، فإذا بدأ بداعش، فإن إخراجهم من الموصل والعراق عموما ثم من الرقة في سوريا، عاجلا أو آجلا يعني أنهم سيذهبون إلى الصحراء

أو تركيا. فيقومون بعمليات إرهابية في تركيا. تضعف تركيا بالإضافة إلى عنف الأكراد والنتيجة تقسيم وتفكيك تركيا، والذين سيذهبون إلى صحراء العراق، سيتجهون بالضرورة إلى السعودية أو الأردن، فإذا ما أحسنوا الاختيار، فإن الأردن هي وجهتهم، فإذا نجحوا في السيطرة على الأردن - وهذا صعب جدا - لأنهم سيكونون على حدود إسرائيل، الأمر الذي يربك كل الخطط الأمريكية الصهيونية، ويمكن أن يحدث تضامن وتعاطف عربي وإسلامي وعالمي واسع معهم، لأنهم سيكونون في مواجهة إسرائيل بل ويمكن أن يحرروا فلسطين، ولكن يجب أن ندرك أن ذلك يعني الصدام مع الجيش الأردني، وهو جيش قوي متماسك، والجيش الصهيوني، والأمريكي والجيش الأوروبية حتى قبل أن يزحفوا على الأردن، التي لهم فيها قاعدة شعبية كبيرة، فالجيش الأردني والصهيونية والأمريكية والأوروبية لن تسمح بذلك، حتى لا تكون داعش حركة تحرر وطني إسلامي قومي، تجمع الجميع حولها في مواجهة إسرائيل، وتربك كل حسابات الأمريكان والأوروبيين والروس وغيرهم. إنه سيناريو خيالي ولكنه جميل، ويجب أن ندرك هنا، أن الفصائل الإسلامية مثل جبهة النصرة على حدود إسرائيل، وهذه لا تهاجم إسرائيل ولكن للأسف تتعاون معها، ويلقي جرحاها العناية في المستشفيات الإسرائيلية، وحتى الآن فإن داعش ليست في تماس مباشر

مع إسرائيل اللهم إلا في سيناء، التي بايع الجهاديون فيها داعش وأبو بكر
البغدادى، وقال الناس: لماذا لا يضرب هؤلاء إسرائيل؟، بل يركزون
على ضرب الجيش المصري المسلم، وحتى إذا افترضنا أنهم يكفرون
الجيش المصري والشرطة المصرية، والشعب المصري عموماً، فلماذا لا
يكفرون الجيش الإسرائيلي والشعب الإسرائيلي؟، ولا بد من تفسير هذا
الأمر الغريب الذي يقدر في مصداقية داعش الإسلامية التي أعادت
الخلافة ومارست الجهاد، والتفسير الصحيح هو أن المنظمات الإسلامية
التي تقاتل الجيش المصري في سيناء، ليست في حقيقتها إلا ذراع إخوانية
وليست داعشية، وأنها بايعت داعش كنوع من المراوغة وخلط الأوراق،
والقوى الإخوانية تقاتل داعش في ليبيا، خصوصاً في سرت، فهم
يقاتلون داعش في ليبيا على الأرض، تحت مظلة من الطيران الأمريكي،
وهم يقاتلون داعش في سوريا، وفي العراق، تحت مظلة جوية أمريكية
أيضاً، بل وانضموا إلى الحشد الشعبي الشيعي في العراق لمقاتلة داعش.
إذن فلا يمكن حساب المنظمات المسلحة في سيناء على داعش، بل على
الإخوان المسلمين، الذين تحالفوا مع أمريكا في العراق وسوريا ومصر
وليبيا وكل مكان.

والطريق الثاني للدواعش هو الذهاب إلى السعودية، وهناك قاعدة
واسعة للسلطة الجهادية، إذن التعليم السعودي والمزاج السعودي هو

سلفي بالضرورة، ومن ثم فهناك حاضنة شعبية لداعش، وهؤلاء يمكن أن يقيموا دولة في نجد والحجاز وهذا عين ما تريده أمريكا، فتصبح داعش إحدى أدوات تمزيق السعودية، ويسمح لإيران أو الدولة الشيعية المرتقبة في إيران والعراق والبحرين باحتلال شرق المملكة وضمها إلى تلك الدولة الشيعية، على أن تؤول المناطق الغربية في السعودية إلى النفوذ المصري، وكذلك فإن شعب اليمن الذي تم توريث السعودية في ضربه وغزوه، سيزحف سلماً أو حرباً على نجران وجيزان ويضمها إلى اليمن، ومن ثم تتفكك السعودية نهائياً، وهذا المخطط الأمريكي الذي اتضح في صدور قانون جوستا، الذي يبيح لضحايا ١١ سبتمبر بمقاضاة السعودية وطلب التعويضات، المقدرة بـ ٣,٣ تريليون دولار، أي إفلاس السعودية بالكامل، هو أحد الآليات الأمريكية لتفكيك السعودية، بحيث يصبح جزء منها تابع لليمن، وجزء تقيم فيه داعش دولتها، ويمكن تركها تعيش بعض الوقت، وتقيم دولتها في صحراء الجزيرة العربية، لسحب كل الجهاديين إلى الصحراء وإبعادهم عن أوروبا وأمريكا وتركيا وغيرها، بالإضافة طبعاً إلى ترك المناطق الشيعية في المملكة في المنطقة الشرقية لصالح الدولة الشيعية المرتقبة، وترك الغرب السعودي للنفوذ المصري، مع إقامة إدارة إسلامية دولية لمكة والمدينة على غرار الفاتيكان.

ونحمد الله تعالى أن الجيش المصري لم يتورط في اليمن أو سوريا

أو غيرها، لأن المخطط كان يريد توريط هذا الجيش في سوريا واليمن لصالح المشروع الأمريكي، ثم يتم استنزاف وإضعاف هذا الجيش تماما، لاحظ هنا أن ما يقرب من عامين من الحرب السعودية والخليجية على اليمن، لم يؤدي إلى شيء، وما زال الحوثيون وأنصار عبدالله صالح يقاتلون، وبسبب القصف السعودي على المدنيين في اليمن، تعاطف الشعب اليمني مع المقاومة للغزو السعودي، وأصبحت القبائل تقف مع الحوثيين وصالح، رغم الخلاف الفكري والعائدي، لأن الأمر تحول إلى شيء وطني، يرفض الغزو الأجنبي، وأصبح الفرز في اليمن على أساس، من يدعم الغزو الخارجي ومن يقف مع الوطن، أما الجنوب اليمني، ففضلا عن رغبة موجودة لدى الجنوبيين للاستقلال من جديد، فإن هؤلاء لا يريدون الغزو الخارجي، أما القاعدة وداعش في اليمن خاصة في الجنوب، فيركزون ضرباتهم على القوات الموالية للسعودية، وهؤلاء حققوا ضربات موجعة لتلك القوات في الجنوب، خاصة في مراكز التدريب في عدن وغيرها.

المخطط بالطبع يستهدف تفكيك مصر، ولكنه فشل في ذلك، وإذا كان الجيش العراقي والجيش السوري قد ضعفا فلا يبقى في مواجهة إسرائيل إلا الجيش المصري، الذي يتم إضعافه، وصحيح أنه لم يستدرج إلى مستنقع اليمن وسوريا، إلا أن النشاط الأمريكي في مصر عن طريق

القوى الإعلامية والليبرالية والإخوانية، يضعفها بالتمرد والمظاهرات والشائعات، والمساهمة في زيادة الأزمة الاقتصادية الطاحنة.

وفي كل الأحوال، فإن كثيرا من المراقبين يرون أن مصر هي التي ستنجو من هذا المخطط، خصوصا إذا وقعت حرب عالمية بين روسيا وأمريكا، لأن مصر لم تتورط في المستقبل، أو لأن قدر الله تعالى سوف ينجي مصر من هذه المؤامرة.

المؤامرة على مصر بالشائعات والحصار وإضعاف الاقتصاد واستنزاف الجيش المصري في سيناء، والتجهيز لقوى مسلحة متطرفة في ليبيا، تقوم بالزحف على مصر من الغرب وهذا يجعلنا نناقش الشأن الليبي، وليبيا تمزقت وضعفت، وأصبح شعبها لاجئا في الدول الأخرى بعد القضاء على نظام القذافي، والشعب في داخل ليبيا، دولة البترول والفوائض الاقتصادية الكبيرة، لا يجد قوت يومه، هذا الشعب أصبح ممزقا بين جيش خليفة حفتر في الشرق والوسط والجنوب وبعض الغرب، وجيش مصراته والجماعة الإسلامية المقاتلة والإخوان في الغرب، والقبائل وداعش في الجنوب، وداعش في سرت وبعض المناطق، إذن هي ثلاث قوى تتصارع جيش حفتر، ثم داعش، ثم ميليشيات الإخوان والجماعة الإسلامية المقاتلة وكتائب مصراته، ويحدث صدام بين الجميع، فداعش تصطدم أحيانا مع حفتر في الشرق خاصة في درنة وبني غازي وتصطدم

أيضا مع الميليشيات الإسلامية وكتائب مصراته في سرت والغرب والوسط، ولديها فائض احتياطي كبير في دول نيجيريا والنيجر وتشاد، وبوكو حرام، يمكن أن يمدّها بالمدد، حتى لو خسرت سرت، فستجد حاضنة شعبية في بني الوليد أو في الجنوب، وهكذا فالمسألة معقدة.

والغرب الليبي ليس خالصا لكتائب مصراته أو الميليشيات الإسلامية، فهذه تتقاتل مع بعضها يوميا في طرابلس، ولا يمكن أن تتوحد، وهناك قبائل في الزنتان وتاجوراء موالية لجيش خليفة حفتر، ويمكننا أن نقول إن القبائل الليبية الموالية للقذافي انقسمت ما بين مؤيد لحفتر، ومؤيد لداعش وحتى أحمد قذاف الدم نفسه يشيد ويدعم داعش.

المسألة إذن معقدة وهناك تدخل أمريكي غربي في ليبيا؛ وهناك عمليات جوية، وقوي على الأرض، ففرنسا مثلا تدعم حفتر، وكذلك مصر والإمارات، وتركيا وقطر يدعمان كتائب مصراته والإخوان والجماعة الإسلامية المقاتلة، وأمريكا وأوروبا تدعم ميليشيات وقوى بهدف السيطرة على الهجرة غير الشرعية من شواطئ ليبيا، أو بحثا عن غنيمة البترول الليبية الكبرى، ومصر دفاعا عن حدودها الغربية تدعم حفتر وعقيلة صالح، وتقوم بعمليات عسكرية نوعية في ليبيا، على أساس أنه كان ولا بد من تقسيم ليبيا إلى شرق وغرب وجنوب، فإن المنطقة الشرقية - غرب مصر - أي بني غازي وما حولها والهلل النفطي

يكون من نصيب مصر، وهؤلاء الذين يسيطرون على شرق ليبيا يرحبون بالدور المصري، بل يدعون إلى التدخل المصري في ليبيا، في إطار الصراع السياسي مع الآخرين.

وصحيح أن الأمور لن تستقر في ليبيا سريعا ولكن الجانب المصري، يدرك أنه لابد من تأمين حدوده الغربية وأخذ نصيب في كعكة البترول والإعمار في ليبيا ولو في إطار المنطقة الشرقية الليبية.

الخطر الداعشي في ليبيا، ربما يكون أشرس من الخطر في سوريا والعراق، فليبيا ليس لديها جيش متماسك ومناطق الصحراء الأفريقية مرتع للدواعش، وهناك بوكو حرام التي بايعت داعش، وقوى إسلامية تابعة للقاعدة أو داعش في تونس والجزائر والمغرب.

وهكذا فإذا كون هؤلاء قاعدة متماسكة في ليبيا أو النيجر أو مالي، فإنهم سيشكلون خطرا كبيرا على تونس والجزائر والمغرب، ومع وجود مشاكل عرقية مثل مشكلة الأمازيغ الموجودون في ليبيا والجزائر والمغرب، يمكننا أن نفهم المخطط الغربي لتمزيق الشمال الأفريقي العربي برمته.

روسيا وأمريكا والصين ليسوا بعيدين عما يحدث في المنطقة، ولكل مصالحه وأهدافه، فروسيا تبحث عن استعادة دورها المفقود، بعد سقوط الاتحاد السوفيتي السابق، وقد استطاعت أن تنهي عقود الهيمنة الأمريكية

على العالم وعصر القطبية الأحادية، وأصبح هناك نوع من التوازن الدولي، فروسيا استعادت القرم، وتحدث الغرب في أوكرانيا، ودخلت سوريا، وأقامت قاعدة عسكرية ضخمة في طرطوس، وأخرى في حميم، والطرادات النووية الروسية تجوب البحر المتوسط، والطيران الروسي في كل مكان في سوريا، وروسيا لا تريد للنظام السوري أن يسقط، لأن سقوطه يعني ضياع حلمها في الوصول إلى المياه الدافئة، وسوف يتسبب سقوطه أيضا في تشكيل خطر عليها نفسها داخل روسيا، وكذلك يعيد أمريكا إلى الانفراد بالعالم، ولذلك فإن روسيا سوف تفعل كل شيء حتى تحافظ على ما حققت من نفوذ في سوريا، وتسعي أيضا إلى عمل قاعدة عسكرية في سيدي براني بمصر، ليكون لها شأن في الموضوع الليبي وكعكة البترول والإعمار، وكذلك تريد قاعدة في المغرب، وهناك نوع من الموافقة الملكية المغربية على ذلك لأن الكثير من حلفاء أمريكا، أدركوا أن روسيا عائدة بقوة، والمشروع الأمريكي في المنطقة يفشل وينهزم، بما له من تداعيات كبرى، وحتى تركيا تحاول استرضاء روسيا، إلى درجة مهاجمة أمريكا علنا وإثارة المشاكل معها حول تسليم فتح الله كولن أو غيرها، ولكن المسألة ليست بهذه السهولة، فهناك أكبر قاعدة أمريكية خارج أمريكا في أنجوليك بتركيا تابعة لحلف الأطلسي، والأمور معقدة جدا، لأن لأمريكا أوراق مع الأكراد يمكن تحريكها ضد تركيا.

وإذا ما استمر السيناريو بهذه الطريقة، فإن الحرب العالمية الثالثة يمكن أن تقع، قد يقول البعض إن هناك عقلاء في أمريكا وروسيا، وأنا شخصياً أشك في ذلك، فلو كان هناك عقلاء في الغرب والشرق، لما وقعت حربان عالميتان.

فسيناريو الحرب موجود واحتمالاته قائمة، بل إن الحرب مستعرة حتى الآن بوكلاء، في إيران والحكومة السورية والعراقية وكلاء لروسيا، والمعارضة السورية المسلحة والسعودية وقطر وكلاء لأمريكا، ويمكن أن يمتد اللهب، فتشتعل الحرب العالمية الثالثة، والمرشح الجمهوري دونالد ترامب قال: إن خطة الديمقراطيين أوباما وهيلاري كليتون ستؤدي إلى حرب عالمية ثالثة.

وهذه الحرب إن حدثت - ومن المرجح حدوثها في غضون خمس سنوات - ستكون إما شاملة بمعنى أن يتم تدمير قطاع كبير من روسيا وأمريكا معاً، وهذا خير للعالم كله، وطريقة لإنهاء أمريكا والرأسمالية التي تسببت في الشقاء للعالم، أو تكون محدودة بمعنى أن تقوم روسيا بإطلاق قنابل نووية تكتيكية على قاعدتي العبيد والسيلية في قطر، ومثلها على قاعدة أنجريك بتركيا، وفي المقابل تقوم أمريكا بإطلاق قنابل نووية على إيران وكوريا الشمالية، وهذا السيناريو هو المرجح، وبذلك تكون الحرب على أرضنا والضحايا من عندنا، ويصل العالم إلى حالة من التوازن على حسابنا.

أما الصين فإما أنها ستدخل إلى جانب روسيا، أو أنها ستكتفي بالفرجة والزحف الاقتصادي، كما تفعل الآن، وتسقط أمريكا اقتصاديا بالحلول محلها في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وفي النهاية سيكون هناك ثلاث أقطاب في العالم أمريكا وروسيا والصين.

علي أن هناك سيناريو موجود، وهو أن أمريكا ستتهار من الداخل، فديونها المالية زادت عن ٢٠ تريليون دولار وأموالها الورقية خارج أمريكا أكثر من ١٠ تريليون دولار أي أن هذا نقد زائف وقوة اقتصادية زائفة، فلو عادت هذه الأموال إلى أمريكا لسقطت في ساعات، لأن معناه أن السوق به ١٠ تريليونات دولار زائدة عن القيمة الحقيقية للاقتصاد الأمريكي، وهي أشبه بأن أمريكا طبعت ١٠ تريليون دولار على المكشوف وهذا يحدث اضطرابا هائلا، وإذا كانت الدول تحتفظ بمليارات الدولارات لديها، لأن الدولار هو العملة العالمية الأكثر انتشارا، فهذا يعطي قوة زائفة للاقتصاد الأمريكي، الذي يصدر أوراقا مقابل بضائع وخدمات بحوالي ١٠ تريليون دولار، إنها نوع من اللصوصية للعالم، إنه الدولار للصر ولكن إذا أفاق العالم وتعامل بغير الدولارات، وعادت تلك الأوراق إلى أمريكا لسقط الاقتصاد الأمريكي في ساعات.

وهناك أيضا ظهور حركات انفصال في الولايات المتحدة المختلفة،

وسوف تزداد هذه المطالب بالطبع، وربما تتفكك أمريكا.

وهناك وجود خلل كشفت عنه حالة الانتخابات الأمريكية الأخيرة، حيث ثبت أن هناك تزوير وضغوط فجأة وواضحة، واكتشف الجمهور الأمريكي أن عصابة لصوص تحكم واشنطن من جمهوريين وديمقراطيين، وتتمللك الجمهور الأمريكي، وعاجلا أو آجلا سينقض على هذه العصابة ويدمرها، فلن يقبل الأمريكيان استمرار تلك المسرحية الهزلية لتقسيم المصالح بين رجال واشنطن، كما يسميهم الجمهور الأمريكي، والمتهمين بالفساد والبيروقراطية والتزوير سواء كانوا جمهوريين أو ديمقراطيين.

ما هو مستقبل إيران في هذه المعركة، إيران التي حققت ثورة إسلامية شيعية ودعمت حماس والجهاد الإسلامي وحزب الله، وقطعت علاقاتها بإسرائيل، وتزعم أنها تريد إزالة إسرائيل من المنطقة على أساس أنها غدة سرطانية يجب بترها، والتي قالت إن أمريكا هي الشيطان الأعظم، وهي نفسها التي ساعدت أمريكا في دخول أفغانستان ٢٠٠١، ثم العراق ٢٠٠٣، وهي التي وقعت الاتفاق النووي مع أمريكا ودول أخرى، وحصلت بموجب ذلك على أكثر من ١٠٠ مليار دولار، كانت متجمدة في أمريكا وبنوك الغرب، واستخدمت تلك الأموال في دعم بشار الأسد، والقوى الشيعية في العراق، والحوثيين في اليمن، أي أن لها

نفوذ في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين واليمن، وهي أيضا التي تدعم قوى سنية مقاومة لإسرائيل مثل حماس والجهاد الفلسطيني وقوى شيعية مقاومة لإسرائيل مثل حزب الله.

وإذا جئنا إلى دعمها لحماس والجهاد الفلسطيني، فهو في الشكل دعم لكل من يقاوم إسرائيل، ولكنه يحقق لها عدم عزلتها عن المحيط السني، وحماس نفسها وكذا الجهاد يعترفون بالدعم الإيراني الواسع لها، وعلاقات حماس بإيران جيدة جدا، وكذا الجهاد علاقاتها بإيران أكبر وأوسع، وإيران بذلك الدعم تنفي عن نفسها المذهبية الشيعية، وتعطي لنفسها أنها تقاوم الاحتلال الإسرائيلي لدولة عربية سنية.

إيران دولة هشة من الداخل، ففيها أقليات عرقية ودينية وطائفية كبيرة جدا، ففيها الملايين من الأكراد وهم سنة، والعرب وهم شيعة، والفرس ٤٠٪ فقط من إيران، وهناك التركمان «شيعة» والآذاريين والبلوش، وهناك أديان مثل اليهودية وعبدة النار «المجوس»، أي أن فيها فسيفساء عرقية ودينية ومذهبية كبيرة، ولا يوجد في طهران مثلا مسجد سني واحد، ولذلك هناك اضطهاد للأكراد والعرب والسنة، وصحيح أنها حققت تقدما عسكريا كبيرا جدا، وصنعت طرادات وسفن وزوارق وطائرات بدون طيار ودبابات، ولكن كل هذه لن يشفع لها فيما يخطط لها من أمريكا، التي تستطيع أن تضربها في الوقت المناسب، لأن القوة

العسكرية الإيرانية سمحت بها أمريكا لتستنزف الطاقات الإيرانية بعد الثورة على غرار محمد علي وعبد الناصر وصدام حسين، ولكي تحقق نوع من الرعب لدول الخليج، لكي تشتري السلاح من أمريكا وصحيح أن تفكيك إيران أو ضربها سيكون بعد نجاح أمريكا في تفكيك السعودية والعراق وسوريا ولبنان، وبديهي أن العوامل الداخلية في إيران تسمح بهذا، فأكراد إيران سيكونون جزء من الدولة الكردية التي تمتد من إيران إلى العراق إلى تركيا إلى سوريا، وإيران في رأيي تحاول امتلاك أوراق في المنطقة، وحققت هذا عن طريق النفوذ في العراق وسوريا ولبنان واليمن، وهي تريد أن تصل إلى نوع من اقتسام كعكة المنطقة مع إسرائيل، بحيث تصبح وكيلا لأمريكا في المنطقة، في مقابل الحصول على نصيب جيد من الكعكة، ويوما ما قال رئيس البرلمان الإيراني السابق على لارييجاني: إن إيران مستعدة للتفاهم مع أمريكا في المنطقة مقابل نصيب معقول في الثروات والنفوذ، وليس في مقابل مصاصة كما قال على لارييجاني.

إيران إذن تستهدف استخدام نفوذها في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين والبحرين في أن تستولي بشكل أو بآخر على المنطقة الشرقية في السعودية، وربما تسمح لها أمريكا بذلك، ولكنها في النهاية حسب الخرائط المتوقعة للمنطقة، سيتم تفكيكها تماما، وهي قابلة للتفكيك، لوجود فسيفساء عرقي وديني ومذهبي في داخلها.

إيران الآن تدعم نظام بشار الأسد، وهي في تحالف استراتيجي مع روسيا، ومع ذلك فإن لها علاقات متميزة مع تركيا ولها أيضا علاقات مع أمريكا، وهذه هي إيران التي لا تضع بيضها كله في سلة واحدة، والتي تقسم الأدوار على أجهزتها ومراكزها، فالمرشد له علاقات وسياسات، وكذا الحكومة ورئيس الجمهورية، ثم الحرس الثوري، والمخابرات الإيرانية، ورجال الدين في قم، ويمكنك أن تجد تعارضا مقصودا في السياسات والنفوذ بين الأجهزة الإيرانية، ولكن هذا نوع من تقسيم الأدوار.

إيران تدعم كل أصناف القوي الشيعية في العراق، وربما تدعم أطرافاً سنية داخل العراق أيضا وكذلك أطرافاً كردية، وهي في العراق نجحت في وقف زحف داعش إلى بغداد عام ٢٠١٤، وحققت بذلك هدف طبيعي هو التصدي لخطر داعش، ولكنها شكلت ميليشيا الحشد الشعبي، الذي تم تشكيله وتسليحه على حساب الميزانية الحكومية للعراق، وهذا الحشد يمكن أن يستخدم حالياً أو مستقبلاً في الدفاع عن بشار الأسد، أو الهجوم على السعودية، ونلاحظ العراق تتحول شيئاً فشيئاً إلى مستعمرة إيرانية، فالحكومة والأحزاب الشيعية، هي بالكامل في جيب إيران، حتى لو تعارضت هذه القوي مع بعضها على أساس أن هذا يتبع المرشد، وذلك يتبع الحكومة الإيرانية، والآخر يتبع الحرس الثوري والرابع يتبع المخابرات الإيرانية.. إلخ، وكذا هناك قوى سنية تعمل لصالح إيران، وكل هذا من

أجل امتلاك أوراق لاقتسام الكعكة مع أمريكا. وفي معركة الموصل ضد داعش مثلاً، نجد أن الجيش العراقي والشرطة العراقية وجيش الأكراد «البشمرجة» تقاثل في تلك المعركة وتتكبد الخسائر، وكذلك الحشد الشعبي، الذي يقف غرب الموصل لكي يمنع هروب الدواعش بسلاحهم إلى سوريا، وكذلك لكي يوجههم إلى حيث يريد، أو إلى حيث يريد الأمريكان أي إلى السعودية أو الأردن، ثم إثارة الخلافات مع تركيا بدعوى أن لها قواتاً في العراق بغير رضا الحكومة، ويمكن بالتالي جر الجيش التركي إلى المستنقع العراقي واستنزافه من ثم، وهكذا فإن إيران تلعب أوراقها بذكاء في العراق، وإذا تم تقسيم العراق يكون لها نصيب الأسد عن طريق الدول الشيعة المرتقبة والتي تمتلك آبار البترول وأغلبية السكان، مع دولة سنية ضعيفة بلا موارد ولا منافذ بحرية، ودولة كردية ستكون جزء من الدولة الكردية الكبرى التي تضم أكراد إيران والعراق وتركيا وسوريا.

وفي سوريا فإن إيران تدعم النظام السوري، وتنسق مع روسيا وأحياناً مع تركيا، وترى إيران ومعها روسيا أن المحافظة على نظام بشار الأسد أمر حيوي لأمن المنطقة والعالم، وأن المعركة في سوريا هي مع الإرهاب، وإذا كانت إيران تنسق مع أمريكا في العراق، فإنها تعارض أمريكا في سوريا.

والمعادلات السورية معقدة جداً، فالنظام قد تماسك شيئاً ما، ونجح في تحويل الثورة الشعبية في سوريا إلى تمرد مسلح وإرهاب، والمعارضة

السورية التي أصبحت مسلحة بالكامل تضم مئات الجماعات والمنظمات منها ما هو تابع لداعش ومنها من هو تابع للقاعدة، ومنها ما هو سلفي جهادي، ومنها ما هو إخواني، منها ما هو تابع للسعودية، ومنها ما هو تابع لتركيا، ومنها ما هو تابع لقطر، ولكن الخطأ الرئيسي لهذه المعارضة أنها تخدم المشروع الأمريكي، وأمريكا ببساطة لا تريد إسقاط نظام بشار الأسد، ولو أرادت لكان ذلك قد تم منذ ثلاث سنوات، أما الآن فأصبح الأمر صعبا جدا، بعد أن تدخلت إيران وروسيا وحزب الله والأحزاب الشيعية العراقية والأفغانية وغيرها، أمريكا لا تريد إلا استمرار الحرب وهدم سوريا تماما والقضاء على وجودها، وتمزيقها إلى دولة علوية، وأخرى كردية في الشمال، ثم عدد من الدول السنية التي تتقاتل مع بعضها، فكل من داعش والنصرة وأحرار الشام وجيش الإسلام، وجماعة نور الدين زكي، وجماعة استقم كما أمرت ومئات المنظمات الأخرى، سيكون لكل واحدة منها دولة سنية تتصارع مع باقي الدول السنية، وهكذا لن تهدأ الحرب أبدا في سوريا، خدمة لإسرائيل، وتركيا ستأخذ بعض مناطق الشمال خوفا من حزب العمال الكردي وأتباعه في سوريا، وخوفا من داعش أيضا، ولكن هذا قد يجرها إلى المستنقع السوري.

هل يمكن أن تستمر الحرب عدة سنوات أخرى، هذا ما هو متوقع فالنظام استطاع تأمين الساحل والعاصمة دمشق وأجزاء من حلب،

وحص وحمّة، وداعش تعيش في الرقة ودير الزور، وجبهة النصرة في غرب حلب وأدلب وجسر الثغور، وجماعات أخرى تحتل بعض المناطق، وهكذا فالقتل والتدمير والحراب هو العنوان.

ولبنان بدورها معرضة للحرب الأهلية والتقسيم على أساس طائفي، حتى لو زعم الفرقاء فيها أنهم عاقلون ولن ينجرّوا إلى الحرب الأهلية، وعلينا أن ندرك أن لبنان في حقيقة الأمر خاضعة لحزب الله ومن ثم النفوذ الإيراني، وأن حزب الله أقوى من الجيش اللبناني، وهناك قطاع من المسيحيين في لبنان متحالف مع حزب الله، ولا يستطيع مواجهة حزب الله في لبنان إلا السلفية الجهادية، وليس سعد الحريري وتيار المستقبل الذي لا يملك ميليشيات جادة وقادرة، وإلي إشعار آخر فإن حزب الله يفرض إرادته، حزب الله ذهب للقتال في سوريا بدون إذن الدولة، وهو يقول أنه يحمي المسلمين سنة وشيعة ويحمي المسيحيين والدروز من خطر التكفيريين، ولكن الحقيقة أنه ذهب إلى لبنان ليحمي بشار الأسد كجزء من الهيمنة الإيرانية على المنطقة، وليحمي نفسه، لأنه لو سقط بشار الأسد، سيتم تصفية حزب الله وتدميره تدميرا.

نعم حزب الله يسيطر الآن على لبنان، وهو ليس القوة الأكبر فيها، بل ربما هو القوة الوحيدة، وقد استطاع أن يفرض مرشحه للرئاسة «ميشيل عون» على جميع الفرقاء، بمعنى أن النفوذ الإيراني الآن أقوى في لبنان من

النفوذ السعودي، والفرنسي والأمريكي، وهل اسم أي رئيس لبناني يعبر عن النفوذ الحقيقي الموجود في لبنان، فعندما كانت الهيمنة لإسرائيل كان بشير الجميل، وعندما كانت الهيمنة لسوريا كان إميل لحود... إلخ.

وقد وصل الأمر إلى حد أن سعد الحريري نفسه قد دعم ميشيل عون، لأنه وجد ألا مفر من ذلك، وهو غير قادر على الحرب الأهلية، وكذلك يريد أن ينقذ نفسه وتواجده، وأنه إن لم يفعل ذلك سيخرج هو شخصيا من المعادلة، ويظهر زعيم سني آخر، وقد اشترط أن يصبح هو رئيسا للوزراء وقد قبل بذلك حزب الله.

ولكن الأمور لا تسير باتجاه واحد فميشيل عون نفسه يمكن أن يقلل تحالفه مع الوقت ويزيد اقترابا من سعد الحريري، أو تحدث تطورات إقليمية ليست في الحسبان، وكل الحسابات مفتوحة في لبنان.
